

دور الزوايا في بناء الشخصية الروحية والوطنية

الدكتور نذير حمادو

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية - قسنطينة



ومغارسُ العادات السيئة التي تشد
الإنسان إلى الوراء، وتلصقه بكل
تَخَلُّفٍ، كالجهل، والخوف، والخضوع،
والتواكل...

ودور هذه الزوايا - في نظر هذه
الفئة - التخدير، والتجميد، والترويض
على حياة التبعية والذوبان، والمُعَلِّم في
هذه الزوايا جاهل متخلف، والتعليم
فيها بائِرٌ، والمنتسب إليها ذليل مقهور
متخلف.

ويرون أن من مساوئ وبلايا هذه
الزوايا أنها تقتل الأعمار، وتند الموهب
والأفكار، وأن الطالب يقضي أنفـس

نظرة المجتمع إلى الزوايا: تُحظى
الزوايا من حين لآخر - وبخاصة
في الآونة الأخيرة - بقدر لا بأس به
من المناقشات الجدلية في الأوساط
العامة والخاصة، لاسيما في معرض
الحديث عن تاريخ الجزائر الثقافي، أو
المؤسسات الثقافية في بلادنا.

**وبالنظر إلى هذه المناقشات
يمكننا تصنيف المناقشين إلى فئات
ثلاث:**

الفئة الأولى: تنظر إلى مختلف
الزوايا بمختلف مناطق البلاد على
أنها جميعاً أوكارُ البدع والخرافات،

الإشعاع الروحي والعلمي في الإسلام،
ومنابع الهداية، والفضيلة والأخلاق،
والحصون المنيعة للعقيدة والإيمان.

ويقولون: إن الذين يتلقون
تعليمهم في الزوايا أنفع للعباد والبلاد
ممن يتعلمون في المدارس؛ لأنهم
موقع ثقة الناس واحترامهم؛ لما هم
عليه من الأخلاق والحرص على
الدين، بالإضافة إلى أنهم لا يدرسون؛
لنيل الشهادات رغبة في المناصب، بل
تقرباً إلى الله لنفع الناس؛ وطمعاً في
الثواب عند الله.

وهذه الفئة في الحقيقة غير منصفة
في حكمها هذا؛ فما كانت كل الزوايا
في هذا المستوى، ولا على هذا النهج،
فلترجع كل من الفئتين نظرتها للزوايا،
ولتتزع رداء التعصب والذاتية، وتنظر
بعين العقل والإنصاف؛ لترى الحق
وتدعن له وتدعو إليه.

الفئة الثالثة: فئة منصفة عادلة في
رأيها وحكمها، وهي التي تحررت من
عقال الجهل، والتعصب، والذاتية،

عمره بين جدران الزاوية في التعليم
العقيم، حتى إذا ما ولى شبابه ووهن
عظمه خرج منها ليس له أثارة من علم
ولا يميزه عن العوام إلا عمامته، يبحث
عن المرأة للزواج فلا ترضاه إلا العانس
التي أدبر نهارها وأقبل ليلها، ويضرب
في الأرض بحثاً عن عمل شريف فلا
يجد إلا كتابة التمام والحُرُوز، وقراءة
القرآن على الأموات.

هكذا تقول هذه الفئة، بالإضافة
إلى ما يُنسب لأهل الزوايا من أخلاق
فاسدة وأعمال مخجلة يقومون بها وراء
مظاهر مغرية من التقوى والورع.

وهذه النظرة مجحفة للغاية،
وأصحابها متجربون على الحقيقة
بالظلم والافتيات، ويريدون من الناس
أن ينكروا ضوء الشمس، وهذا أمرٌ
بعيد المنال.

الفئة الثانية: تقابل الفئة الأولى
في نظرتها العامة المطلقة إلى الزوايا
بلا قيد واستثناء، ولكنها تخالفها
في الحكم؛ إذ تراها جميعها مراكز

التي أسست على غير قصد نبيل؛ بحيث يمارس فيها من أنواع الشعوذة، والدجل، والخداع، وما يقام فيها من لقاءات يخجل مما يقع فيها من منكرات السفه، ويبكي في عواقبها اللبيب.

والقائمون على هذه الزوايا يستغلون ضعف العقول، فيفتنون في أساليب المكر والخداع والاحتيال، ويؤززون عليهم بطرق شتى من التضليل؛ فهذه الزوايا بلاء على تلك العاملة، وفئة لأولئك الذين لا يميزون بين الاثنين.

فالزوايا المؤسسة للتعليم الديني وتحفيظ القرآن الكريم كان لها الدور الكبير في حماية العقيدة الإسلامية من الحملات التبشيرية التشكيكية والتنصيرية، وفي الحفاظ على القرآن الكريم، وبقاء قيمه ومفاهيمه نظيفة خالصة على الرغم من المقاومة الاستعمارية التي لم تنفك تثير لها الشبهات؛ لتزعزعها وتقضي عليها.

ثانياً: نبذة تاريخية عن نشأة

ونظرت إلى المسألة بعين العقل؛ حيث **جعلوا الزوايا نوعين:**

النوع الأول: الزوايا التي أسست لعبادة الله تعالى، وتحفيظ كلام الله والحديث الشريف، وتعليم الدين الإسلامي الحنيف، ونشر القيم والفضائل الإسلامية.

وهذه الزوايا في الحقيقة مراكز للتربية والتعليم، وتهيئة النشء للمراكز العلمية الإسلامية العالية بالأزهر الشريف بمصر، والزيتونة بتونس، والقرويين بالمغرب الأقصى، والجامع الأخضر بقسنطينة، واليوم بجامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية بقسنطينة.

ومؤسسو هذه الزوايا أصحاب رسالة، وأهل فضل وإخلاص، وقد احتفظ التاريخ في صفحاته الوضيئة المشرقة بأسمائهم وأعمالهم؛ لتذكرهم الأجيال القادمة بالإعجاب والتقدير، وترسم خطاهم وتحذو حذوهم.

النوع الثاني: ومن الزوايا، الزوايا

2- نشأة الزوايا في الشمال

الإفريقي: عُرِفَت الزاوية في بلاد المغرب في أوائل القرن الثامن الهجري، فكانت تطلق على مكان مُعَدٍّ للعبادة، كالمسجد، ويشتمل على المرافق للطلبة المجاورين بها، وإيوائها للواردين عليها، وعابر السبيل، وقيل: إنها عُرِفَتْ في بلاد المغرب بعد القرن الخامس الهجري، وسميت في بادئ الأمر بـ "دار الكرامة"، كالتي بناها الملك يعقوب المنصور الموحّدي في مراكش، ثم أَطْلَقَ المَرِينِيُّونَ على الزوايا التي بنوها في عهدهم اسم "دار الضيوف"، ومن ذلك الزاوية العظيمة التي أسسها الملك أبو عنان المريني خارج سَلا، وهي التي ذكرها ابن بطوطة في رحلته، وزاوية سَلا في الرباط التي دَفَنَ فيها الملك أبو عنان والدّه أبا الحسن، وزارها لسان الدّين بن الخطيب، وخاطبه فيها بخطبته الشهيرة في تاريخ الأدب العربي. ثم عُرِفَتْ الزاوية بعد ذلك ببلاد

الزوايا في الشمال الإفريقي:

1- معنى الزاوية:

الزاوية في الأصل هي ركن البناء، وكانت تطلق بادئ الأمر على صومعة الراهب، ثم أُطلقت على المسجد الصغير أو على المصلى.

وهي تتكون غالباً من: غرفة

للصلاة بها محراب، وغرفة قُصرت على تلاوة القرآن الكريم، ومدرسة لتحفيظ القرآن، وغرفة مخصصة لضيوف الزاوية والمسافرين والطلبة، وفي الغالب ضريح لأحد المرابطين أو وَلِيٍّ من الأشراف تَعْلُوهُ قُبَّةٌ.

والزاوية هي على الجملة مدرسة علمية دينية، ودار مجانية للضيافة يقصدها الرّحالة الذين يبحثون عن الكمال الروحي. وهذا المعنى جاء في كلام ابن مرزوق التلمساني (المتوفى سنة 781 هـ/1379 م) حين تكلم عن الزوايا في زمانه: "من الواضح أن الزوايا عندنا في المغرب تأوي المتجولين، وتطعم المسافرين".

ومغادرة سكانها، وخاصة الجالية الأندلسية التي كانت فيها؛ فإن الكثير من أفرادها أسسوا زوايا في بني يعلى، وبني ورثلان، وبني وغليس، وغيرها من المناطق؛ فكانت هذه الزوايا (المعمرات) لها أحباس مهمة، وقوانين داخلية صارمة، ثم انتشرت في معظم بلاد القبائل.

ثالثاً: نشاط الزوايا العلمي والأخلاقي: إن التعليم في الزوايا - وإن كان بسيطاً مقصوراً على العلوم الشرعية، والعربية، والتصوف الصحيح (علم الأخلاق، أو علم السلوك) - له أهميته الكبيرة في تكوين المسلم.

والتربية هي أرضية التعليم التي ترسى عليها حياة المتعلم الفردية والاجتماعية في هذه الزوايا؛ إذ قد يُتسامح مع المفرط في جانب الدرس ولا يُتسامح مع المخل بالصلاة - مثلاً -، أو الملتوي في السلوك.

فليس التعليم في هذه الزوايا مجرد معلومات أو محفوظات يتلقاها الطالب

المغرب بأنها مؤسسة لرؤساء الطرق الصوفية يجتمع فيها مُريدوهم؛ لذكر الأوراد، كما كانت تُتخذ مأوى لطلبة القرآن الكريم والعلم الشرعي، وبقيّة الزوّار الذين يقصدونها للاستفتاء والصالح بين المتخصصين.

وقد كثر هذا النوع من الزوايا ابتداءً من القرن العاشر الهجري بعد هجومات البرتغال والإسبان على شواطئ بلاد المغرب.

وقد كان لبعض هذه الزوايا شأن عظيم، تحوّلت إلى ممالك، كالزاوية الدلائية بالمغرب التي كتب عنها كثير من المؤرخين، والزاوية السنوسية بليبيا فقد تحولت هي الأخرى إلى مملكة.

ثم ظهر نوع آخر من الزوايا تعرف في منطقة القبائل بـ "المعمرة" (ثُمَّعَمَرَتْ)، وهي عبارة عن معاهد لتعليم القرآن الكريم وحفظه، ودراسة العلوم الثقيلة والعقلية، وقد انتشر هذا النوع من الزوايا بنواحي بجاية الناصرية بعد احتلال إسبانيا بجاية،

وهذه المنهجية تفتح أمام الطالب باب الترقى إلى الكمال الممكن في حياته الدراسية، ثم في حياته المهنية. وإذا كان للقدرة العلمية في مجال التربية أنفع درس وأقوى مؤثر؛ فإن شيوخ هذه الزوايا يحرصون كل الحرص على التعليم بسلوكهم أكثر من التعليم بأقوالهم، وَيَعْدُونَ السلوك القويم أهم طرق التربية والتعليم، وهذا ما فقدناه اليوم في المدارس والجامعات؛ حيث ترى الكثير من الأساتذة الذين يحملون أعلى الشهادات يناقضون بسلوكهم ما يقرّرونه في دروسهم من حقائق ونظريات؛ فيضيع الطلبة بين الأقوال والأفعال؛ ولذا كان لشيوخ الزوايا الذين انقطعوا حقاً لتعليم الدين وأحكام الشريعة مكانة محترمة في مختلف الأوساط، ولم ينالوا هذه المكانة إلا أنهم كانوا يمثلون الإسلام ويطبّقونه في سلوكهم وتصرفاتهم.

وعن طريق هذه الزوايا التي أسست لخدمة الإسلام والمسلمين عرف الناس

ويعيشها نظرياً، بل هناك معها تدريب عملي وممارسة فعلية على الحياة القويمة في عالم الفكر والضمير، وفي عالم الوجود المعيش سواء في ذلك العبادات أو المعاملات. فالصلاة واجبة عندهم نظرياً وعملياً، وتكتسي أهميتها البالغة عندهم لأمرين:

الأمر الأول: إن الدروس وحفظ القرآن الكريم كثيراً ما يشرع فيهما بعد أداء الصلاة، فما إن تنتهي حتى يتحلّق الطلبة حول شيخهم لتلقي الدرس، أو حول معلم القرآن للتجويد أو للاستملاء، وهذه الأعمال مرتبطة بالصلاة حتى إن وقتها لا يُعرف بالساعة، وإنما يُعرف بأوقات الصلاة.

الأمر الثاني: إن يوم الطلبة تتخلله خمس صلوات، توقظه الأولى ليمارس الحفظ والدراسة، وتقّده الأخيرة للنوم والراحة، وبين اليقظة والنوم ثلاث صلوات تجدد عزمه وتضاعف نشاطه وتزوده بشحنة الإضاءة التي تجعله واضح الرؤية، شديد الخطى.

ويشيب نواصي الولدان، ولكنه يتسلح بالصبر، مستهيناً بكل صعب؛ حتى ينال مبتغاه ويحقق أمنيته، وغالباً ما يتفوق على أقرانه، ومن أمثال هؤلاء في بلادنا كثير لا يحصيهم العد، نذكر منهم: العلامة العربي التبسي، والعلامة الشيخ الرزقي الشرفاوي، والعلامة الشيخ المولود الحافظي، والأستاذ الشيخ مولود الزريبي، وكل هؤلاء درسوا بالزوايا ثم غادروها إلى الأزهر الشريف بمصر رغم الفقر المدقع، فرجعوا من هناك أعلام فكر، ودعاة إصلاح، وفرسان البلاغة والبيان، وخدموا شعبهم ووطنهم الجزائر خير خدمة، وأعلوا شأنه بين الأوطان.

كل ذلك كان بفضل الأرضية الصحيحة التي انطلقوا منها، وأرسوا عليها حياتهم العلمية.

ومنذ الاحتلال الفرنسي للجزائر؛ والزوايا في صراع دائم مستمر، صراع عقدي ثقافي مع المحتل الصليبي الذي يحاول القضاء على لغة الأمة، وطمس

قدر العلماء، وأدركوا معنى قول الرسول الكريم ﷺ: ﴿الْعُلَمَاءُ وَرَثَةُ الْأَنْبِيَاءِ﴾، وورثوا عنهم وظيفة الدعوة إلى الله والهداية إلى صراط الله المستقيم؛ وإذا كانوا ورثة الأنبياء فالواجب طاعتهم، وتقديرهم، والافتداء بهم.

ومن هنا كان إقبال الناس على دراسة علوم الشريعة في الزوايا والمعاهد الدينية (المعمرات)، وكان الأثرياء من أهل القرى يبعثون بأبنائهم إلى الأزهر الشريف، أو إلى الزيتونة، أو إلى القرويين، أو إلى الجامع الأخضر؛ ليكون لهم العالم الصالح الذي ينتفع به الناس، وذلك بعد أن يمرّوا بالزوايا والمعاهد الدينية التي تؤهلهم لذلك.

وأما أبناء الفقراء، فيكتفي أغلبهم بتعليم الزوايا، وقد يغامر بعضهم بنفسه فيهاجر من وطنه إلى المشرق أو المغرب في سبيل العلم، وهو لا يملك إلا إرادة قوية، وعزيمة ماضية، ورغبة في العلم مُلِحَّة، فيلاقي من المتاعب والمشاق ما يزعزع رواسي الجبال،

بين الطلبة والضيوف، والضيوف أولى من الطلبة.

ويقوم شيوخ الزوايا بدفع البلاء النازل على الناس بالوقوف معهم، وحل مشاكلهم.

يقول الشعراني عن دور الزاوية الاجتماعية: "وأعظم طريق إلى دفع البلاء النازل على الناس في حارة أو زاوية مصالحة بعضهم بعضاً؛ حتى لا يبقى بينهم شحنة".

فقد جعل الزاوية مجتمعاً يُقرن إلى الحارة وإلى القرية، وكانت مشيخة الزاوية من المناصب التي تتطلع إليها العيون، فقد اتفق للإمام الشعراني مرة أن قال: "إذا رفعك الله فصرت عالماً، أو شيخ زاوية".

ولا تزال زوايا العلم والقرآن في بلادنا يجتمع فيها أهل الخير، فيذكرون الله، كما بقيت مأوى لطلبة القرآن والعلم، وبقية الزوّار الذين يقصدونها للاستفتاء والصلح بين المتخاصمين،

ثقافتها، واجتثاث جذورها، وهذا ما كشفت عنه الدكتورة تورين أستاذة التاريخ المعاصر في كتابها: "الصراعات الثقافية في الجزائر في عهد الاستعمار، المدارس، الطب، الدين من 1830 إلى 1880م".

رابعاً: نشاط الزوايا الاجتماعي:

إضافة إلى دورها العلمي، فقد كانت تقوم بدور لا يقل أهمية عن تعليم العلم الشرعي، وتحفيظ القرآن الكريم، بل كان لها وجود اجتماعي؛ فالزاوية تستقبل الغرباء والفقراء والمساكين، وكل من ألجأه الزمان إلى النُّزول فيها وألزمه الفقر إلى المكث فيها أياماً، أو شهوراً، أو أعواماً، فهؤلاء ضيوف الله، يُكرمون ويُقابلون بالرافة والشفقة والعناية، ولهم محل مخصوص، يُسمى بيت الضيوف، يقيهم من الحرّ والبرد، وهم يُطعمون مما يُطعم الطلبة. وقد جرى العرف في الزوايا أن لا يُوزَّع الطعام على الطلبة حتى يأكل الضيوف، ولو كان الطعام قليلاً يُقسَّم

وهذا أمر لا يستطيع أحد إنكاره.

خامساً: دور الزوايا الجهادي:

مؤسسو هذه الزوايا والمعلمون فيها أصحاب رسالة، وذوو وزن عند الله تعالى وعند الناس؛ لأنهم صَانَعُوا أجيال وبناء مجد، احتفظ التاريخ في صفحاته الوضيئة المشرقة بأسمائهم؛ لِنَذْكُرْهُمْ بالإعجاب والتقدير، ونترسم خطاهم، ونحذو حذوهم، وكثير من هؤلاء لم يقتصرُوا على تعليم الطلبة وتربية العامة، بل هجروا المَحَابِرَ وحلقات الدرس إلى جبهات القتال؛ دفاعاً عن الإسلام والمسلمين، وتحريراً للأوطان من براثن الاستعمار.

ولقد تعرضت زوايا القرآن والتعليم لحقد الاستعمار الصليبي؛ لأنها كانت حصون الإسلام، وكانت قذى في عيون الصليبيين، وشجى في حلوقهم، وصخرة في طريقهم منعتهم من الوصول إلى غايتهم الدنيئة، بل كانت مراكز المقاومة، ومقر المجاهدين؛ لذلك انتقم منها جيش الاحتلال

الفرنسي الذي أعماه الحقد الصليبي، وكان تقوده الطغمة الإقطاعية المجرمة، وصب عليها جَآمَ غَضَبِهِ، وهدم البعض، وأغلق الباقي، وشرّد طلبتها، فمنهم من قُتِلَ، ومنهم من سُجِنَ، ومنهم من فُرِّ والتحق بصفوف المجاهدين.

لقد جاهدت الزوايا وصمدت في وجه الاستعمار الصليبي، وقاومته عند دخوله إلى يوم خروجه، قاومته بالسلاح، وعندما انهزمت في الميدان العسكري استعملت سلاح الرفض والصمود.

لم ترحزها عواصف الشر والطغيان، ولم ترسخ لأساليب القمع والإرهاب، ولم تستكن للمعتدين المستبدين، بل جاهدت وقاومت الاستعمار حتى أُحْرِقَتْ وَهْدِمَتْ عن آخرها، والواقع يشهد بذلك، والتاريخ سجّل لنا أسماء بعض زوايا القرآن والعلم التي تعرضت لهجوم الاستعمار الوحشي.

سادساً: دور الزوايا في بناء

ولا نهضة ولا انطلاق إلا بثقة النفس والإيمان بقدرتها والاعتماد عليها إن فقد الثقة من أعظم أسباب الانحطاط وتخلف المسلمين، وهو من أشد الأمراض الاجتماعية المهلكة وأخبث الآفات الروحية، فلا يتسلط هذا الداء على إنسان إلا أودى به، ولا على أمة إلا ساقها إلى الفناء والزوال، وكيف يرجو الشفاء عليلٌ يعتقد بحق أو بباطل أن علته قاتلته؟!.

وإذا كان التعليم في الزوايا تعليمًا بسيطاً متواضعاً لا يتماشى مع روح العصر في أسلوبه ومناهجه؛ فإنه حافظ على روح الأمة، وصان شخصيتها، وحمى عقيدتها، ورفع معنوياتها؛ بذلك جعلها تعتصم بدينها، وتعتز بقيمتها وعاداتها وتقاليدها، وتتعلق بلغتها وإن كانت مُحاربةً ومحرومة من جميع الوسائل، ومعزولة عن كل ميدان من ميادين الحياة، على الرغم من ذلك لا تقبل البديل مهما كان البديل؛ لأنها ترى نفسها سعيدة وفخورة بانتمائها

الشخصية الروحية والوطنية: لقد استطاعت زوايا القرآن والعلم أن تحافظ على ثقافتنا العربية الإسلامية الأصيلة، واستطاع هذا التعليم البسيط في شكله ومظهره، القوي في روحه، الغني في محتواه، السليم في جوهره أن ينجح؛ لأنه لم يفقد فاعليته، ولم تبرد حرارته على الرغم من المكائد والمحن والعزلة والإبعاد، وتجريده من جميع الوسائل حتى الضروريات.

استطاع تعليم الألواح والحصير أن يؤثر في الأرواح، ويغير في النفوس، ويصقل العقول، ويطهر القلوب؛ فيصنع رجالاً صادقين، مصلحين مجاهدين، أعادوا الثقة إلى النفوس، وما أحوج المسلمين اليوم إلى هذه الثقة التي فقدوها أو سلبت منهم، وطوبى للذي يستطيع أن يعيد الثقة إلى النفوس ويعيد الحياة والأمل إلى الأمة، فعودة الثقة كعودة الروح للجسد أو عودة الربيع للطبيعة بعد عواصف الشتاء فلا حياة للمسلمين ولا حضارة

الجزائر بإسلامها وعروبها قرناً واثنين وثلاثين سنة من الاحتلال الفرنسي البغيض؛ فالتعليم الشرعي هو الذي قاوم التعليم المسيحي الصليبي الحاقداً على الإسلام والمسلمين، ولولا ذلك الرفض الذي يسمونه الانغلاق لتحققت أُمْنِيَةُ الاستعمار في تحويل الجزائر، فالانغلاق واجب في تلك الظروف الصعبة المحيطة بالشعب الجزائري المسلوب الحرية، المنهوك القوة، المهودور الطاقة، المهدد بالابتلاع في كل لحظة من لحظات الحياة.

إن الانفتاح على المستعمر كان يعني الانفتاح على الشر والدمار، والموت والفناء، ولكن لا يعرف هذا إلا من عرف الاستعمار، وعاش ليله الحالِك الرهيب، واكتوى بِحَرِّ ناره، وتجرّع مرارة ظلمه.

هل يفتح الإنسان العاقل أبوابه للصّوص والمجرمين، ثم يرجو منهم الخير والفائدة؟! ألا إنهم يستحذون على ممتلكاته ويتركون داره قاعاً

الثقافي والقومي والوطني، وتحب كل ما هو إسلامي، وتمقت كل ما هو أجنبي دخيل.

إذاً فالزوايا قامت بدور عظيم في ترسيخ العقيدة الإسلامية، وتقوية الشخصية الوطنية، والمحافظة على القرآن الكريم واللغة العربية والعلوم الإسلامية؛ فوقفت في وجه الكفر والإلحاد، والإدماج والفرنسة، وكل العادات والأخلاق الأجنبية المخالفة لحياتنا الاجتماعية وقيمنا الدّينية؛ حتى يبقى المجتمع سليماً معافى من كل ما يحمله الاستعمار من ثقافة ومدنية وسلوك وعادات رفضها الشعب الجزائري؛ لأنه يعتبرها شراً وفساداً فلم يأخذ منها شيئاً؛ لهذا نرى أن نظرة من يَتَّهَمُونَ هذه الزوايا بالجمود والانغلاق كانت سطحية، وتفكيرهم كان قاصراً، فلو تعمقوا وحلّلوا لعرفوا الحقيقة، وفهموا معنى الانغلاق، فنحن لا نسميه رفضاً ورد الفعل، فلو لا هذا الرفض وهذا الانغلاق المُحْكَم لما احتفظت

صَفَصَفَاً.

الاستعمار، والنفور منها؛ لأن الاستعمار شرٌّ وكل ما يأتي من الاستعمار فهو شرٌّ يجب رفضه والابتعاد عنه.

وقد حاول الاستعمار الفرنسي تجنيس الشعب الجزائري، وتمسيحه، وتغريبه؛ فاستعمل كل الحيل، وجربَ جميع وسائل التحويل تارة بالعنف، والقوة والترهيب، وتارة بالإغراء واللين والكذب، ولكن الاستعمار دائماً يصطدم بجدار الإسلام الذي وقف في وجهه، وحال بينه وبين أهدافه الخبيثة؛ فانهارت قُوَّاتُه، وتحطّمت أحلامه كما تحطّمت بالأمس جيوش أجداده الصليبيين.

ولقد أيقن الجزائريون منذ الأيام الأولى للاحتلال أن هدف الاستعمار الفرنسي هو القضاء على الإسلام في هذه الأرض الطاهرة؛ من أجل ذلك أدركوا جميعاً أن عليهم أن يعتصموا بالإسلام؛ حتى يستطيعوا تحرير هذا الوطن الغالي، والواقع أن الاحتلال الفرنسي للجزائر كان منذ البدء يحمل

إذاً لا نسمي هذا انغلاقاً أو انطواءً كما يُسمّيه المنهزمون المستسلمون المنقادون، بل نسمّيه رفضاً وتحدياً واحتضاناً للعقيدة الإسلامية، وما تحمله هذه العقيدة من قيم وأخلاق وإرادة وأملٍ وتحدٍّ.

كيف ننسى أيها السادة الكرام هذه الزوايا وتعليمها الديني والوطني وجهادها الطويل ونضالها المرير، فلولاها ما صمدت الجزائر في وجه الاستعمار البغيض قرناً و32 سنة من الصراع مع تلك الأفعى التي تنفث سمومها في جسم الأمة، وتحاول ابتلاعها في كل لحظة.

إن زوايا القرآن والعلم كانت عقبة أمام الاستعمار، وجداراً حديدياً في وجه التبشير، والتنصير والتجنيس، والتفرنس، تصدت للغزو العَقْدِيّ، والفكري، والثقافي وكل ما يحمله الاستعمار لبلادنا، لا بالقوة، بل بالرفض والاعتزاز بالنفس، وكراهية أشياء

وسبب نجاحه وانتصاره في حرب
التحرير على أكبر دولة استعمارية في
العصر الحديث.

وفي الأخير أتمنى لملتقاكم الكريم
هذا التوفيق والنجاح، والسلام عليكم
ورحمة الله وبركاته.

هذا المعنى من الحرب الصليبية.
وقد كان تمسكُ الشعب الجزائري
بالإسلام سببَ بقائه واستمرار حياته
في خضم الشدائد والمحن التي جعلته
يثبت ويصمد في وجه الكفر والطغيان،
ويتحدى أساليب المكر والخداع، ولم
يخدعه لمعان وسراب الطمع والإغراء،

